

تفسير ابن كثير

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ^ص ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ^ص
يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ ^ج

وهذا إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال المشركين الكفار من اليهود والنصارى ،
لمقاتلتهم هذه المقالة الشنيعة ، والفرية على الله تعالى ، فأما اليهود فقالوا في العزيز : " إنه
ابن الله " ، تعالى [الله] عن ذلك علوا كبيرا . وذكر السدي وغيره أن الشبهة التي
حصلت لهم في ذلك ، أن العمالة لما غلبت على بني إسرائيل ، فقتلوا علماءهم وسبوا
كبارهم ، بقي العزيز يبكي على بني إسرائيل وذهاب العلم منهم ، حتى سقطت جفون
عينيه ، فبينما هو ذات يوم إذ مر على جبانة ، وإذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول :
وامطعماه ! واكاسياه ! [فقال لها ويحك] من كان يطعمك قبل هذا ؟ قالت : الله . قال
: فإن الله حي لا يموت ! قالت : يا عزيز فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل ؟ قال :
الله . قالت : فلم تبكي عليهم ؟ فعرف أنه شيء قد وعظ به . ثم قيل له : اذهب إلى نهر
كذا فاغتسل منه ، وصل هناك ركعتين ، فإنك ستلقى هناك شيئا ، فما أطعمك فكله .

فذهب ففعل ما أمر به ، فإذا شيخ فقال له : افتح فمك . ففتح فمه . فألقى فيه شيئاً كهيئة
الجمرة العظيمة ، ثلاث مرات ، فرجع عزيز وهو من أعلم الناس بالتوراة ، فقال : يا بني
إسرائيل ، قد جئتكم بالتوراة . فقالوا : يا عزيز ، ما كنت كذاباً . فعمد فربط على إصبع من
أصابعه قلماً ، وكتب التوراة بإصبعه كلها ، فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء ،
وأخبروا بشأن عزيز ، فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبال ، وقابلوها بها ،
فوجدوا ما جاء به صحيحاً ، فقال بعض جهلتهم : إنما صنع هذا لأنه ابن الله . وأما ضلال
النصارى في المسيح فظاهر ؛ ولهذا كذب الله سبحانه الطائفتين فقال : (ذلك قولهم
بأفواههم) أي : لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افتراءهم واختلاقهم ، (يضاهئون) أي :
يشابهون (قول الذين كفروا من قبل) أي : من قبلهم من الأمم ، ضلوا كما ضل هؤلاء
، (قاتلهم الله) وقال ابن عباس : لعنهم الله ، (أنى يؤفكون) ؟ أي : كيف يضلون عن
الحق ، وهو ظاهر ، ويعدلون إلى الباطل ؟ .